إيهام الترادف في نصوص الجنة في القرآن الكريم

ـ دراسة بلاغية ـ

الدكتور : مثنى نعيم

الجامعة العراقية ـ كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ليكون معجزة للعالمين، ولتبقى آياته بصائر لمن يريد الهداية ويسعى لها، ولقد نزل القرآن على قوم بلغوا من الفصاحة والتمكن من البيان قدراً عظيماً، وكانت لهجاتهم المتعددة قبل الإسلام قد قاربت أن تذوب في بوتقة واحدة أساسها لهجة قريش التي مثلت ذروة الفصاحة العربية، وكان كل ذلك إرهاصاً لنزول القرآن الكريم بهذه اللغة الشريفة، حين شرف الله تعالى العربية بحمل رسالة السماء الأخيرة إلى الأرض.

ولقد تخير القرآن من لغة العرب ألفاظه، ولكنه إنما تخير ألفاظاً سهلة ميسورة ذات جرس صوتي جميل، وبنية ذات دلالة مفهومة للعربي المخاطب بها آنذاك، ثم ارتقى القرآن بتلك الألفاظ في تراكيب لغوية ذات نظم معجز جديد، لا عهد للعرب والعربية به، فبهر العرب ببلاغته، وأسرهم بفصاحته، فآمن من آمن، وأنكر من أنكر، ولقد تحدى القرآن المنكرين أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، مع حرصهم على عداوة الإسلام منذ اللحظة الأولى لانطلاقه.

ولكي نفهم كتابنا الذي شرفنا الله تعالى به، لابد لنا من فهم معاني ألفاظه، لتحديد دلالتها بدقة، فلغة القرآن المحكمة ذات نظام خاص في المفردات والتراكيب والإيقاع... ودلالة الكلمة في التركيب القرآني ذات

ظلال وإيحاءات سياقية، لذا لا يكفي لتحديد دلالتها الاحتكام إلى المعجم فقط، بل يجب الاحتكام إلى النص والسياق.

وليس من شأننا في بحثنا هذا إنكار الترادف في العربية، ولكن الأمر هنا يتعلق باستعمال القرآن للألفاظ وهو من شأننا. والسؤال هنا يكون: هل وافق القرآن الكريم العرب في استعمال تلك الألفاظ المترادفة بمعنى واحد؟

سنحاول الإجابة عن هذا السؤال من خلال البحث عن الفروق والظلال الدقيقة التي بين ألفاظ عدّها اللغويون مترادفة مما استعمله القرآن الكريم.

وينبغي علينا أن لا ننسى أن نستحضر أننا أمام نص محكم معجز وضع كل حرف وكل لفظ فيه بنظام دقيق، بأنه كلام الله تعالى وصفته.

ومن هنا جاءت تسمية البحث (إيهام الترادف في نصوص الجنة في القرآن الكريم).

وأخيرا فإني أود أن أذكر الكتب التي سبقتني في هذا المجال وأفدت منها من حيث طريقة المعالجة والتتبع للألفاظ، ولكنهم جميعاً لم يذكروا الألفاظ المترادفة الخاصة بالجنة إلا لفظة أو لفظتين، مما شجعني على اختيار الموضوع والكتابة فيه. والكتب هي:

الترادف في القرآن الكريم، محمد نور الدين المنجد.

التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت الشاطئ.

ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم، د. طالب الزوبعي.

الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د. محمد عبد الرحمن الشايع.

دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، د. محمد ياس الدوري.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يقسم على مبحثين:

المبحث الأول: المفهوم والاختلاف بين المجيزين والمانعين للترادف.

المبحث الثاني: الدراسة البلاغية للألفاظ المترادفة في نصوص الجنة.

ثم الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع

فإن وفقنا فذلك بفضل الله وتوفيقه وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

الباحث

المبحث الأول
المفهوم والاختلاف بين المجيزين والمانعين للترادف

أولاً: تعريف الترادف

الترادف: ما تبع الشيء. فكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيءٌ خلف شيءٍ فهو الترادف، وردف الرجل وأردفه ركب خلفه(١).

وعرفه الإمام فخر الدين الرازي بقوله:" هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"(٢).

والمترادفات هي: " ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق "(٣).

وإذا نظرنا في ألفاظ العربية وتسمية المسميات، نجد للشيء الواحد أسماء وصفات كثيرة، وكل منها تصلح أن تكون اسماً للمسمى، وبذلك أصبحت العربية أوسع اللغات ثروة بالكلمات. إذ أن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يقدر لها من الاستعمالات. فمثلاً: للسيف أكثر من ألف اسم وللأسد خمسمائة، وللداهية أكثر من أربعمائة اسم، وللثعبان مائتا اسم، وللعسل أكثر من ثمانين اسماً، ولكل من المطر والماء

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ردف): ١٦٢٥.
(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٤٠٣/١.
(٣) دور الكلمة في اللغة: ١٠٩.

والنور والظلام وغيرها من الأشياء التي عرفها العربي عشرات من الألفاظ(١).

" والترادف التام نادر الوقوع في العربية، لأن الغموض يعتري المدلول والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية والانفعالية التي تحيط بهذا المدلول، والتي لا تلبث أن تعمل على تحطيمه، وتقويض أركانه، وسرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة، بحيث يصبح كل لفظ منها مناسباً وملائماً للتعبير عن جانب واحد فقط، من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد"(٢).

ويندر أن تكون هنالك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقاً كاملاً، ومن الممكن أن تتقارب الدلالات والألفاظ المترادفة بهذا المعنى هي الألفاظ ذات الدلالات المتقاربة. ومن ثم كان واجب معجم المترادفات ذكر الألفاظ في مجموعات مع تحديد علاقاتها وظلال معانيها والفروق بينها(٣).

وفي القرن الثاني الهجري كان الترادف سمة من سمات العربية، وقد جمع رواة اللغة الألفاظ المترادفة في كتب، وكانوا لا يرونها محلاً للنزاع أو الجدل. فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة، فغدت مترادفة.

(١) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٤٠٣/١.
(٢) فصول في فقه العربية: ٣١.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣١.

فقد روي أن أبا زيد سأل أعرابياً: ما الحنبطي؟ قال: هو المتكأكئ، قال أبو زيد الأنصاري: وما المتكأكئ؟ قال: هو المتأزف، قال: ما المتأزف؟ فسئم الأعرابي من مساءلته وقال له أنت أحمق[1].

ومن هنا نرى أن رواة اللغة في تلك الفترة لا يجدون حرجاً في التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ عدة.

ثانياً: أسباب الترادف

هناك أسباب كثيرة أدت إلى وقوع الترادف في العربية أهمها:

١- تناسي الصفات والفروق: هنالك صفات تفقد عنصر الوصفية مع الزمن بالتدرج، وتجدد مدلولاتها مما كان بينها من فوارق، وغلبت عليه التسمية، نلاحظ ذلك في أسماء السيف، فالحسام واليماني والقاطع يدل كل منهم على وصف خاص للسيف مغاير عما يدل عليه الآخر[2].

٢- احتكاك لغة قريش باللهجات الأخرى، هذا الاحتكاك نقل إليها طائفة كبيرة من مفردات هذه اللهجات، وقد أجمع الرواة على أن قريشاً كانت تتخير من كلمات القبائل الأخرى في مواسم الحج والأسواق، ما خف على اللسان وحسن في السمع حتى لطفت لهجتهم وجاد أسلوبهم[3].

٣- إن كثيراً من المترادفات ليست في الحقيقة كذلك، بل يدل كل منها على حالة خاصة من المدلول تختلف بعض الاختلاف عن الحالة

(١) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٤١٣/١.

(٢) ينظر: في اللهجات العربية: ١٨٢.

(٣) ينظر: فقه اللغة – علي عبد الواحد: ١٦٦.

التي يدل عليها غيره، فمثلاً: رمق، لحظ، حدج، شفن، ورنا، وما إلى ذلك من الألفاظ التي تدل على النظر، فإن كل منها يعبر عن حالة خاصة للنظر، تختلف عن الحالات التي تدل عليها الألفاظ الأخرى. فرمق يدل على النظر بجامع العين، ولحظ يدل على النظر من جانب الأذن، وحدج معناه رماه ببصره مع حدة، وشفن يدل على نظر المتعجب الكاره، ورنا يفيد إدامة النظر في سكون.....إلخ[١].

٤- الاستعمال المجازي: إن كثيراً من الكلمات التي تذكر المعاجم على أنها مرادفة معانيها لكلمات أخرى، غير موضوعة في الأصل لهذه المعاني، بل مستعملة استعمالاً مجازياً. فالرحمة مثلاً قد استعملت من (الرحم) موضع الولد والمكان الذي يلد الأبناء والأخوان، فتنشأ بينهم صلة من الحب والعطف، وقد تقادمت العهود على هذا المعنى المجازي حتى أصبح حقيقة وبهذا نشأ الترادف بينهما وبين كلمات أخرى مثل الرأفة[٢].

٥- انتقال كثير من الألفاظ السامية والمولدة والموضوعة والمشكوك في عربيتها إلى العربية، وكان لكثير من هذه الألفاظ نظائر في متن العربية الأصلي[٣].

(١) ينظر: فقه اللغة – علي عبد الواحد: ١٦٨.

(٢) ينظر: في اللهجات العربية: ١٨٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٤.

٦- إن جامعي المعاجم لشدة حرصهم على تسجيل كل شيء، دونوا كلمات كثيرة كانت مهجورة في الاستعمال، ومستبدلاً بها في اللغة مرادفاتها[١].

كل هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى وجود الترادف في اللغة.

ثالثاً: رأي علماء العربية في الترادف

في القرنين الثالث والرابع الهجريين وما تلاهما، بدأ رواة اللغة وجامعوها يلتمسون فروقاً بين الكلمات التي عدها من سبقوهم من المترادفات. فنشأ النزاع بين علماء اللغة إزاء الترادف ووقوعه في اللغة العربية وانقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول:

يؤيد هذا الفريق وقوع الترادف في العربية، ويعده من أبرز خصائصها، لقد تزعم هذا الفريق ابن خالدية. فهو يؤمن بفكرة الترادف ويفخر بما جمعه من كلمات كثيرة ذات معنىً واحد[٢]. وأيضاً من الذين اهتموا بالترادف ابن جني وعقد له باباً سماه (تلاقي المعاني، على اختلاف الأصول والمباني)، وقال فيه:" هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة قوي الدلالة على شرف هذه اللغة وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه"[٣].

---

(١) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٤٠٦/١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٥/١.

(٣) الخصائص: ١١٣/٢٠.

وكذلك من الذين أثبتوا المترادفات في العربية ابن سيده. يتضح ذلك في مقدمة كتابه المخصص حين قال:" وكذلك أقول على الأسماء المترادفة التي لا يكثر بها نوع ولا يحدث عن كثرتها طبع كقولنا في الحجارة: حجر وصفاة، ونقله ومن الطريق طويل وشلب وشَرْحَبْ "(١)، كما ضمن كتابه هذا العديد من أمثلة المترادفات في العربية.

ومن علماء الأصول الذين أثبتوا الترادف الإمام فخر الدين الرازي، الذي يرى وجوب تقيد الترادف بعدم التباين في المعنى وبعدم الإتباع، فليس من الترادف (السيف الصارم)؛ لأن في الثانية زيادة في المعنى، وليس منه (عطشان ونطشان)؛ لأنه لا معنى للكلمة الثانية، ولكن مع هذا اعتراف بوجود المترادفات في اللغة العربية، وكان يرى أن مرجع كل هذه التعسفات إلى الاشتقاقيين(٢). ومن أنصار الترادف أيضاً ألكيا أبو الحسن علي بن محمد الشافعي(ت ٥٠٤هـــ)، الذي قسم الترادف إلى قسمين. يتضح ذلك من قوله:" الألفاظ التي بمعنىً واحد تنقسم إلى ألفاظ متواردة، وألفاظ مترادفة، فالمتواردة كما يسمى الخمر عقاراً وصهباء وقهوة، والسبع أسداً وليثاً وضرغاماً. والمترادفة هي التي يقوم فيها لفظٌ مقام لفظٍ لمعانٍ متقاربةٍ يجمعها معنى واحد. كما يقال أصلح الفاسد، ولم الشعث، ورتق الفتق، وشعب الصدع "(٣). وهو بذلك يرى أن الترادف يشمل العبارات والجمل.

---

(١) المخصص: ٣/١.

(٢) ينظر: في اللهجات العربية: ١٧٥.

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٤٠٧/١.

ومن علماء اللغة المحدثين الذين تناولوا هذه الظاهرة إبراهيم أنيس، ويرى أن الترادف موجود في القرآن الكريم، ولا معنى لمغالاة بعض المفسرين حين يلتمسون الفروق الدقيقة بين ألفاظه المترادفة، ويرى كذلك أن منكري الترادف كانوا من الاشتقاقيين، الذين أسرفوا في إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى أصل اشتقت منه[١].

كذلك يثبت رمضان عبد التواب وجود هذه الظاهرة في اللغة، فيقول:" ورغم ما يوجد بين لفظة مترادفة وأخرى من فروق أحياناً، فإننا لا يصح أن ننكر الترادف فنراهم يفسرون اللفظة بالأخرى"[٢].

الفريق الثاني:

ينكر هذا الفريق وجود الترادف في اللغة العربية، ومنهم ثعلب الذي يرى أن ما يظنه البعض من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات كما في الإنسان والبشر. فالأول موضوع له باعتبار النسيان، أو باعتبار أنه يؤنس، والثاني باعتبار أنه بادي البشر[٣].

كذلك ذهب ابن فارس مذهب أستاذه ثعلب فأنكر وقوع الترادف في العربية، وكان يقول:" يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام. والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد هو السيف وما بعده من الألقاب صفات. ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى "[٤].

---

(١) ينظر: في اللهجات العربية: ١٨٠.

(٢) فصول في فقه العربية: ٣١٦.

(٣) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/٤٠٣.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٩٦.

أما ابن درستويه فيقول:" لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد، إلاّ أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يرى كثير من اللغويين والنحويين، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها، وما في نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها، ولم يعرف السامعون لتلك العلة فيه فروقاً فظنوا أنها بمعنى واحد، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم. فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب، فقد أخطأوا عليهم في تأويله مالا يجوز في الحكمة، وليس يجيء شيء من هذا الباب إلاّ على لغتين مختلفتين، أو تشبيه شيء بشيء.[(١)].

فهو ينكر أن يكون الترادف في لغة واحدة ويجوزه في لغتين، ويؤكد ما ذهب إليه في موضع آخر بقوله:" وأهل اللغة أو عامتهم يزعمون أن فعل وأفعل بهمزة وبغير همزة قد يجيئان بمعنىً واحد، وأن قولهم: " ديزي" و " أديزي " من ذلك قول فاسد في القياس والعقل مخالف للحكمة والصواب لا يجوز أن يكون لفظان مختلفان بمعنىً واحدٍ إلاّ أن يجيء أحدهما في لغة قوم والآخر في لغة غيرهم كما يجيء في لغة العرب والعجم أو لغة رومية ولغة هندية "[(٢)].

ومن الذين نفوا الترادف أيضا أبو هلال العسكري، وألف كتاباً سماه (الفروق اللغوية)، وقسمه إلى ثلاثين باباً. أما الراغب الأصفهاني فيقول:" وينبغي أن يجعل كلام من منع على منعه في لغة واحدة، فأما في

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٣٨٤/١ – ٣٨٥.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨٦/١.

لغتين فلا ينكره عاقل "[١]. فهو يذهب إلى ما ذهب إليه ابن درستويه بنفي الترادف في لغة واحدة ويجوزه في لغتين.

ومن علماء اللغة المحدثين الذين اهتموا بالترادف محمد المبارك. فقد أنكره واعتبره مرضا من الأمراض المنتشرة في عصر الأغطاط، الذي ضاعت فيه الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة، فغدت مترادفة"[٢].

يلاحظ مما تقدم انقسام علماء العربية في الترادف بين مجيز ومانع، وهذا التباين انسحب إلى الدراسات القرآنية، فأنكر جل العلماء وقوع الترادف في القرآن الكريم، وحجتهم أن الإعجاز اللفظي يقتضي وقوع اللفظ الدقيق في مكانه الدلالي المخصص له، فلا تنوب لفظة عن لفظة، فأن لكل لفظة دلالة لا تصلح أن تحل مكان لفظة أخرى، فإن المقام الدلالي عند ذلك سيتغير.

ومن المنكرين لوقوع الترادف في القرآن ابن عطية الأندلسي، إذ يقول:" وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد "[٣]. وكذلك يقول أبو هلال العسكري:" وواضع اللغة حكيم، لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني، وعين من الأعيان في لغة واحدة، فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر،

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٤٠٥/١.
(٢) فقه اللغة وخصائص العربية: ٣٠٦.
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٧٢/١.

وإلاّ لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه، وإلى هذا ذهب المحققون من العلماء ، وأشار إليه المبرد....."[١].

ومن المحدثين الذين أنكروا وقوع الترادف في القرآن الكريم بنت الشاطئ، التي حاولت أن تكشف فروق الألفاظ، وفي هذا الشأن نراها تقول:" من قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية واختلفت مذاهبهم فيها، والبيان القرآني يجب أن يكون له القول الفصل فيما اختلفوا فيه حين يهدي إلى سر الكلمة، لا يقوم مقامها كلمة سواها من الألفاظ المقول بترادفها "[٢]، وقد ذهب المذهب كل من أحمد بدوي[٣]، وعبد الله دراز[٤]، وفضل حسن عباس[٥].

والبحث يقف إلى جانب المنكرين في وقوع الترادف في القرآن الكريم، ويحاول إثبات أن لكل لفظة استعملت في القرآن الكريم مدلولها ودلالتها التي لا يمكن الإتيان بلفظة مرادفة لها تحل محلها، وهذا ما حاولنا إثباته في المبحث الثاني.

---

(١) الفروق اللغوية: ٣٣.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن: ١٩٣.

(٣) من بلاغة القرآن: ٥٧.

(٤) ينظر: النبأ العظيم: ١٢٤، ١٢٥.

(٥) ينظر: الإعجاز في القرآن الكريم: ١٧١.

المبحث الثاني
الدراسة البلاغية للألفاظ المترادفة في نصوص الجنة في القرآن الكريم

سنحاول في هذا المبحث دفع الترادف في القرآن الكريم من خلال نصوص الجنة، وذلك عن طريق دراسة هذه الألفاظ وتوضيح معانيها البلاغية، وإثبات أن لكل لفظة قصدها البلاغي، وأنها مقصودة الاستعمال القرآني، وأنه لا يمكن الاستعاضة عنها بلفظة أخرى. وسأتناول الألفاظ حسب الترتيب الهجائي، والألفاظ هي:

أولاً : الأجر والثواب

١- **الأجر** : يقول ابن فارس:" الهمزة والجيم والراء أصلان يمكن الجمع بينهما بالمعنى، فالأول الكراء على العمل، والثاني جبر العظم الكسير....، والمعنى الجامع بينهما أن أجرة العامل كأنها شيء يُجبر به حاله فيما لحقه من كدٍّ فيما عمله "(١)، فالأجر على هذا الأصل يكون مقابل جهد وعمل.

ويرى الراغب أن الأجر:" ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً "(٢)، وكأن الراغب هنا يلمح إلى أنهما مترادفان، ويرى في الأجر:" يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد، ولا يقال إلاّ في النفع دون الضر "(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة(أجر): ٦٢/١.

(٢) المفردات: ٦٤.

(٣) المصدر نفسه: ٦٤.

ويرى أبو هلال العسكري أن الأجر:" يكون قبل الفعل المأجور عليه، والشاهد أنك تقول ما أعمل حتى أخذ أجري "(١)، وكلام أبي هلال فيه نظر؛ لأن القرآن الكريم يرده، بدليل قول الله تعالى على لسان إحدى ابنتي شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾(٢)، فهو عمل – عليه السلام – ثم بعد ذلك كان الأجر على عمله. والرأي الصحيح في الأجر أنه ما يؤتى للمرء مقابل عمل دنيوي أو أخروي تم إنجازه أولاً.

ويختص بالنفع دون الضر، واستقراء اللفظ في القرآن الكريم يهدي إلى هذا المعنى، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾(٣).

فالأجر هنا مقابل مادي ينتفع به على عمل دنيوي اشترط إنجازه أولاً. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾(٤)، فكان الأجر هنا مرهوناً بتحقيق الغلبة على موسى، وحين لم تتم الغلبة لم يُنل الأجر، وهو مما ينتفع به، ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى بعد ذكر المغفرة والجنات: ﴿ وَنِعْمَ

---

(١) الفروق في اللغة: ٢٦٦.

(٢) سورة القصص: آية ٢٥.

(٣) سورة الطلاق: آية ٦.

(٤) سورة الشعراء: آية ٤١ – ٤٢.

﴿أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾[1]. فهنا كان الأجر مغفرة وجنات على عمل أخروي، وهذا يعني أنه بعد إنجاز العمل[2].

٢- **الثواب :** يرى ابن فارس أن الثواب مشتق من أصل صحيح يدل على " العود والرجوع... والثواب من الأجر والجزاء أمر يُثاب إليه "[3].

والثواب عند اللغويين بالنظر إلى أنه أمر يُثاب إليه يكون خيراً، ويكون شراً إلاّ أنه في الخير أكثر[4].

والثواب عند الراغب:" ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله فيسمّى الجزاء ثواباً تصوراً أنه هو هو، ألا ترى كيف جعل الله تعالى الجزاء نفس الفعل في قوله:﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾[5]، ولم يقل جزاءه "[6]،وقد جارى الراغب اللغويين في الثواب على ما يرجع يرجع من جزاء العمل، أما أن يكون الجزاء

الفعل نفسه، فليس في نص الآية المذكورة ما يشهد له بذلك، وإنما صرحت برؤية الأعمال، ورؤية الأعمال شيء والحساب والجزاء شيء آخر، وكل امرئٍ سيرى عمله محضراً في كتاب لا يغادر كبيرة ولا

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٦.
(٢) ينظر: الترادف في القرآن الكريم: ١٦١.
(٣) معجم مقاييس اللغة(ثوب): ٣٩٣/١.
(٤) ينظر: المفردات: ١٨٠، والفروق اللغوية: ٢٦٦.
(٥) سورة الزلزلة: آية ٧.
(٦) المفردات: ١٨٠.

صغيرة إلاّ أحصاها، وبهذا المعنى لا دليل لكلام الراغب في الآية والله أعلم.

وهناك فروق نحسُّ بها، ولا نجد الأدلة القاطعة عليها، منها(١):

١- أن الأجر يكافئ العمل، والثواب ما زاد على ذلك، ونستشعر ذلك في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٢)، فكأن الحسنى أجر والزيادة ثواب.

٢- إن القرآن الكريم جعل الأجر عامّاً يكون من الله عز وجل، كقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٣)، ويكون بين الناس أيضاً، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾(٤)، في حين أن القرآن الكريم الكريم لم يذكر الثواب مسنداً للبشر، فكأن الثواب خاص بجناب الله تعالى، والأجر عام.

٣- إن الأجر يكون على الأعمال فقط، في حين أن الثواب يكون على الأعمال والأقوال معاً، فيكون الثواب – إن صح ذلك – أعم من الأجر، ونستأنس لهذا المعنى بقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(٥)

---

(١) ينظر: الترادف في القرآن الكريم: ١٦٢.

(٢) سورة يونس: آية ٢٦.

(٣) سورة البقرة: آية ٦٢.

(٤) سورة الطلاق: آية ٦.

(٥) سورة المائدة: آية ٨٥.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(1)، فكان الثواب في هذه الآية عقب أقوال ذكرت على سبيل الدعاء.

ويقول المنجد:" وإن صحت هذه الفروق بين الأجر والثواب فلا يمكن عدها من المترادفات، وإلاّ فحسبنا ما بين اللفظين من عموم الثواب في الخير والشر، وخصوص الأجر بالنفع دون الضر، فيخرجان بذلك من حيز الترادف "(2).

ثانياً : الإحسان والفضل

جاءت هاتان اللفظتان في سياق وصف الجزاء الذي ينتهي إليه حال المؤمنين في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾(3)، وقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾(4)، وتدل لفظة الفضل في المعاجم على (الزيادة عن الاقتصاد)(5)، الاقتصاد)(5)، ويقول الزمخشري في الفضل: " وما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب "(6)، والفضل عند ابن فارس:" يدل على زيادة في

---

(1) سورة آل عمران: آية ١٤٧ – ١٤٨.

(2) الترادف في القرآن الكريم: ١٦٣.

(3) سورة الرحمن: آية ٦٠.

(4) سورة الأحزاب: آية ٤٧.

(5) المفردات: ٦٣٩.

(6) الكشاف: ٣/٢٦٦.

الشيء... والإفضال: الإحسان، والفضل: ضد النقص "[١]. فالفضل إذاً يدل على معنى الزيادة على الحق المطلوب.

وأما الإحسان:- فإن الراغب يقول:" هو على وجهين: أحدهما الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان، والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً "[٢].

فالإحسان يتعلق بمظهر النعيم الحسن، مكافأة على العمل الحسن. من خلال هذا يتبين لنا أن هناك فرقاً بين الإحسان والفضل، فالإحسان:" قد يكون واجباً وغير واجب، والفضل لا يكون واجباً على أحد، وإنما هو ما يُتفضل به من غير سبب يوجبه "[٣].

ويُهتدى إلى هذا الفرق من خلال قوله تعالى:﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[٤]، إذ تحصر الإحسان في الجزاء على العمل الصالح، وتقصره به فيكون بمنزلة الأجر للعامل إذا أحسن، في حين أن الفضل يزيد على الأجر، من باب التفضل الإلهي على عباده المؤمنين، فالجزاء يتمثل في الإحسان، ولذا ضاعف الله أجر الحسنة بقوله:﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾[٥]، والعطاء يتمثل في الفضل، هذا من جهة، ومن جهة جهة أخرى فإن الإحسان يرسم دلالة حسنة على الجزاء، والإحسان من

---

(١) معجم مقاييس اللغة(فضل): ٤/٥٠٨.
(٢) المفردات: ٢٣٦.
(٣) الفروق اللغوية: ٢١٩.
(٤) سورة الرحمن: آية ٦٠.
(٥) سورة الأنعام: آية ١٦٠.

الحسن، ضد القبح، لذا وصف الله تعالى الجنة بالحسنى في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1]، والفضل لا يتضمن هذا المعنى في لفظه، فإذا تبين لنا هذا فإنه لا ترادف بينهما والله تعالى أعلم.

ثالثاً : أعين وعيون

من المعلوم أن جمع (أفعُل) من جموع القلة، و(فُعُول) أحد جموع الكثرة، وقد جمعت العين في القرآن الكريم على أعين وعيون[2]،ويدل لفظ العين على معان مختلفة، منها العين الجارحة، والعين بمعنى الواشي وعين الماء...[3]، لكن الأعين اختصت بالعين المبصرة، والعيون اختصت بجمع عين الماء[4]، وهذا ما تفرد به الاستعمال القرآني لهما، إذ أن (عين) تُجمع على أعين وعيون، ولا يفرق بينهما إلا بالدلالة على القلة والكثرة، إذا دلت على معنى واحد، ومن ثم يمكن أن يتبادلا مواقعهما الدلالية ، فالاستعمال القرآني فرق بينهما. فقد وردت لفظة (أعين) في القرآن الكريم اثنتين وعشرين مرة، والمختصة منها بالجنة آيتان فقط، هما قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ

(١) سورة يونس: آية ٢٦.

(٢) ينظر: شرح الرضي على الشافية: ٢/٩٠.

(٣) ينظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني: ١٠٧ – ١٠٨.

(٤) ينظر: من وحي القرآن: ١٢٥، دراسات في اللغة: ٩١.

(٥) سورة السجدة: آية ١٧.

﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1]، فكان في جمع القلة مراعاة لحقيقة البصر بالعين.

وأما استعمال كلمة (عيون) في القرآن الكريم فجاء في موضع دلالي يختلف عن استعمال لفظ(أعين) وذلك للدلالة على عين الماء فقط كما أسلفنا، وجاء ذكرها في وصف جنة الدنيا في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[2]، فوقوع جمع الكثرة في عيون الجنة دلالة على كثرتها واختلاف طعومها، ومما يدلنا على إرادة التكثير في جمع (العيون) مجيء الفعل (فجَّر) مضعفاً للتكثير، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾[3]. ومن هذا يتبين لنا أن لكل لفظة في القرآن الكريم استعمالها ودلالتها التي لا تجيز تبادلهما.

رابعاً : التحية والسلام

تحية أهل الجنة عندما يدخلونها يُتلَقَّوْنَ بها، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[6]، ونلاحظ أن المعاجم تكاد

(١) سورة الزخرف: آية ٧١.

(٢) سورة الذاريات: آية ١٥.

(٣) سورة يس: آية ٣٤.

(٤) سورة يونس: آية ١٠.

(٥) سورة الواقعة: آية ٢٥ – ٢٦.

(٦) سورة الأحزاب: آية ٤٤.

أن توحد بين اللفظتين، قال ابن منظور:" التحية: السلام، وقد حيّاه تحية والتحية في كلام العرب ما يُحيي بعضهم بعضاً إذا تلاقوا "[١].

أما السلام فيعرفه ابن منظور بقوله:" السلام: التحية، ومنه قول الشاعر

تُحيي بالسلامة أم بكـــــــر وهل لك بعد قولك من سلام

وقال أبو الهيثم:" السلام والتحية معناهما واحد "[٢]، فإذا كان معناهما واحد، كما يقول ابن منظور، فهل استعملهما القرآن الكريم بمعنى واحد؟.

إن استعمال القرآن الكريم للكلمتين يشكل بيئة دلالية مستقلة، فلو اقتصرنا على مستوى القول بين السلام والتحية لقلنا: إن التحية تكون بالسلام وغيره، فتكون التحية (أعم من السلام)، وقال المبرد:" يدخل في التحية (حياك الله)، ولك البشرى، ولقيت الخير، ولا يقال لذلك سلام "[٣]. فالفرق بينهما فرق بين العام والخاص، غير أن لهذا الخاص مزايا، ولذلك خص من دون ألفاظ التحية كلها.

ولا يقتصر معنى السلام على القول الشفهي، بل يتعدى ذلك للدلالة على معاني السلامة والنجاة والأمن والبقاء، والتحية ليست كذلك في القرآن الكريم، ففي قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[٤]، قال أبو حيان:" دار السلامة والصحة والأمن، وهي الجنة، إذ أهلها سالمون من

(١) لسان العرب(حيا): ١٠٧٩.

(٢) المصدر نفسه(حيا): ١٠٧٩.

(٣) الفروق اللغوية: ٧١.

(٤) سورة يونس: آية ٢٥.

كل مكروه ويجوز أن يكون الله تعالى أضافها إلى اسمه الشريف على سبيل التعظيم لها والتشريف "[١]. فالسلام من السلامة، والتحية من الحياة، وقد جمع القرآن الكريم بينهما في قوله تعالى: ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾[٢]، والعطف بالواو يقتضي المغايرة، أي أن تكون التحية غير السلام، فالتحية هنا دعاء بالبقاء، والسلام دعاء بالسلامة من كل المكاره والآفات، ولو كانا بمعنى واحد لما جمعهما القرآن الكريم في موضع واحد، وهذا يدل على أنهما متغايران والله تعالى أعلم.

خامساً: الخلود والدوام

وردت اللفظتان في سياق وصف الجنة مرة، وأهلها ثانية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[٥].

---

(١) البحر المحيط: ١٤٦/٥.

(٢) سورة الفرقان: آية ٧٥.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٠٧.

(٤) سورة الرعد: آية ٣٥.

(٥) سورة هود: آية ١٠٨.

والأصل الخلد عند ابن فارس:" أصل يدل على الثبات والملازمة"(١).

وقال ابن منظور:" الخلد دوام البقاء "(٢).

أما عند الراغب فالخلود:" هو تبري الشيء، من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد وتصفه العرب بالخلود "(٣).

أما الدوام فإنه يدل على السكون واللزوم، " يقال: دام الشيء يدوم إذا سكن "(٤).

والناظر بعناية إلى اللفظين وسياق ما وردت فيه، يجد أن هناك فرقاً دقيقاً بينهما على الرغم من اشتراكهما في الدلالة على الزمن، فالفرق بينهما يعتمد على تحديد الزمن بينهما، فالدوام:" استمرار البقاء في جميع الأوقات، يقتضي أن يكون في وقت دون وقت......، والخلود هو استمرار البقاء من وقت مبتدأ "(٥).

فوصف أكل الجنة بالدوام يتحتم أن يكون ذلك في كل الأوقات دون تحديد. أما الخلود، فإنه يدل على بداية الوقت الذي اتصف به المؤمنون بالخلود، أو وصف الجنة به، ومن هنا جاء الوصف بقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ

(١) معجم مقاييس اللغة(خلد): ٢/٢٠٧.
(٢) لسان العرب(خلد): ١٢٢٥.
(٣) المفردات: ٢٩١.
(٤) معجم مقاييس اللغة(دوم): ٢/٣١٥.
(٥) الفروق اللغوية: ١٣٤.

رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[١] بالخلد ابتداء، ثم كان الوصف بالدوام، فالخلود يفترق عن الدوام في البدء، ويتفق معه في الاستمرار والله أعلم.

سادساً : السرور والسعادة

قال الراغب في السرور:" ما ينكتم من الفرح "[٢]، وسمي السرور بهذا الاسم؛ لأنه أمر خال من الحزن.

أما أصل (سعد) فهو " أصل واحد يدل على خير وسرور "[٣]. قال الراغب:" والسعادة معونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير"[٤].

وقد وردت اللفظتان في وصف حال المؤمنين في الآخرة، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾[٦]، والمتتبع لسياق الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة السرور يجدها في وصف ملاذ الدنيا والآخرة، ففي ذكر الدنيا يقول جل ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾[٧]، أما ما يتعلق بالآخرة فيقول تعالى: ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾[٨]، وكذلك يشترك المؤمن والكافر في لفظة السرور، ويظهر

---

(١) سورة هود: آية ١٠٨.

(٢) المفردات: ٤٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة(سعد): ٣/٧٥.

(٤) المفردات: ٤١٠.

(٥) سورة الانشقاق: آية ٧ – ٩.

(٦) سورة هود: آية ١٠٨.

(٧) سورة آل عمران: آية ١٣٤.

(٨) سورة الإنسان: آية ١١.

ذلك في قوله تعالى في خبر المؤمنين: ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴾(١)، وفي خبر الكافرين: ﴿ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴾(٢)، بينما نجد استعمال القرآن الكريم للفظ السعادة يتميز عن استعمال لفظ السرور، فقد اقتصر القرآن في ذكر السعادة على الدار الآخرة وحسب، إذ أنها تؤكد المصير السعيد للمؤمنين في الجنة، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾(٣) والله أعلم.

سابعاً : العظيم والكبير

جاءت اللفظتان في بيان حال أهل الجنة من المؤمنين، إذ يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(٤)، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾(٥). فالأصل اللغوي ل(عظم) يدل يدل " على كبر وقوة.... ومعظم الشيء أكثره "(٦).

أما ابن منظور فيقول:" عظم الشيء، يعظم عِظَماً وعظامة: كبُر"(٧). وعلى هذا فإن عظم يدل على الكثرة والكبر، أما معنى (كبر) "

---

(١) سورة الانشقاق: آية ٩.

(٢) سورة الانشقاق: آية ١٢ – ١٣.

(٣) سورة هود: آية ١٠٨.

(٤) سورة التوبة: آية ٨٩.

(٥) سورة البروج: آية ١١.

(٦) معجم مقاييس اللغة(عظم): ٣٥٥/٤.

(٧) لسان العرب(عظم): ٣٠٠٤.

كبُر بالضم، يكبر أي عظم فهو كبير "[١]، وعلى هذا الأساس فإننا لا نستطيع أن نفرق بين العظيم والكبير، ويورد الراغب معنى العظيم بقوله:" وعُظْمُ الشيء أصله: كبُر عظْمه، ثم استعير لكل كبير، فأُجري مجراه محسوساً كان أو معقولاً، عيناً كان أو معنىً "[٢]، فالعظيم يكون في المحسوس والمعقول، ثم يقول في الكبير:" الكبير والصغير من الأسماء المتضايفة التي تقال عند اعتبار بعضها ببعض فالشيء قد يكون صغيراً في جنب شيء، وكبيراً في جنب غيره، ويستعملان في الكمية المتصلة كالأجسام، وذلك كالكثير والقليل، وفي الكمية المنفصلة كالعدد"[٣]. لكن استعمال الكبير في الحجم أكثر شيوعاً، وإن كان يدل في في بعض معانيه على الكثرة كما أسلفنا، غير أن العظيم "قد يكون من جهة الكثرة ومن غير جهة الكثرة..وقد يعظم الشيء من جهة الجنس، ومن جهة التضاعف"[٤].

وهذه الدلالة، أعني المضاعفة، لا يشير إليها لفظ (الكبير) كما تشير إليها لفظة (العظيم)، وزيادة على ذلك فإن (العظيم) يوحي بالعز والشرف، كما قال أبو هلال العسكري:" إن عظيم القوم هو الذي ليس فوقه أحد منهم، فلا تكون الصفة به إلا مع السؤدد والسلطان، فهو مفارق للكبير "[٥]. ولهذا فإن العظيم يوصف بالكثرة المضاعفة من جهة، وبالعلو

(١) المصدر نفسه(كبر): ٣٨٠٧.
(٢) المفردات: ٥٧٣.
(٣) المصدر نفسه: ٦٩٦.
(٤) الفروق اللغوية: ٢٠٧ – ٢٠٨.
(٥) الفروق اللغوية: ٢٠٧.

وبالعلو الذي لا يدانيه علو، لذلك فالفوز عندما يُنعت بالعظمة (فوز عظيم) فهو فوز لا يعادله فوز مثله، أي ليس فوقه شيء، وخير دليل على ذلك قول الله تعالى في وصف الشرك: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(١)، فليس هناك فوقه ظلم، ولم يوصف بالكبير، في حين أن الكبير قد يدل على الكثرة، ولكنه لا يدل على العلو، لذا جاءت الآيات التي تصف الله تبارك وتعالى بالكبير مصاحبة للكلمة العلو، كقوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾(٢).

فالكبير خلاف الصغير، والعظيم خلاف الحقير، فلا ترادف والله أعلم.

ثامناً : غلمان وولدان

لفظتان استعملهما القرآن الكريم في وصف خدم المؤمنين في الجنة في ثلاثة مواضع، وهي في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾(٥).

---

(١) سورة لقمان: آية ١٣.

(٢) سورة الرعد: آية ٩.

(٣) سورة الطور، آية ٢٤.

(٤) سورة الواقعة: آية ١٧ – ١٨.

(٥) سورة الإنسان: آية ١٩.

ويدل الأصل اللغوي ل(غلمان) على الغلام:" الطار الشارب، وقيل: هو من حين يولد إلى أن يشب، والجمع أغلمة وغلمة، وغلمان......"[١].

أما الأصل اللغوي ل(ولدان) فإنه يدل على معنى واحد، " وهو دليل النجل والنسل "[٢]. والولد:" فعل بمعنى المفعول.... ويقع على الذكر والأنثى، واحداً كان أو أكثر "[٣].

وفي اللسان:" الوليد: الغلام حين يُستوصف، قبل أن يحتلم "[٤].

إذاً فالولد يختص بمزايا ثلاثة:-

١- أنه مولود بسبب من أب وأم.

٢- تتمثل في إطلاق اللفظ على الذكر والأنثى.

٣- دلالية السن المتقارب.

" ليدل على أنهم يبقون دائماً في سن الولدان، لا يكبرون، ولا يتحولون عن شكل الوصافة "[٥].

وعلى هذا فالغلمان أكبر سناً من الولدان، ويدل وجود اللام في الآية ﴿ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾ على الملكية، أي أن أهل الجنة يملكونهم، قال الآلوسي:" ولم يقل غلمانهم بالإضافة، لئلاّ يتوهم أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا، فيشفق كل من خدم أحداً في الدنيا أن يكون خادماً له

(١) لسان العرب(غلم): ٣٢٨٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة(ولد): ١٤٣/٦.

(٣) عمدة الحفاظ: ٣٣٩/٤.

(٤) لسان العرب(ولد): ٤٩١٦.

(٥) البحر المحيط: ٢٠٥/٨.

في الجنة، فيحزن بكونه ما يزال تابعاً..... وكذا نسبة الخدمة للأولاد لا تناسب مقام الامتنان "(١).

وعلى هذا فالغلمان خلق مميز من خلق الجنة، ليسوا من طبيعة البشر، أما الولدان فهم من نسل الناس، وقد فسرها ابن عباس بالقول:" هم أولاد الكفار، جعلوا خدماً لأهل الجنة "(٢). والله أعلم.

تاسعاً : الفلاح والفوز

لا نجد في المعاجم العربية فرقاً بين دلالة اللفظتين، فابن منظور يوفق بينهما بالقول:" الفلح والفلاح: الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير "(٣)، بينما الراغب يعرف الفلاح بقوله:" والفلاح الظفر وإدراك بغية، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي "(٤). ومن خلال تتبع الآيات التي وردت فيها كلمة الفلاح، نجد أن الفلاح يشترك في الخير والشر وفي الأمور الدنيوية والأخروية، نفي معرض الحديث عن الآخرة، يقول الله تعالى واصفاً المؤمنين: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٦)، ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٦)، وقد جاء الفلاح في خبر الدنيا مرة واحدة، وذلك في

(١) روح المعاني: ٣٤/٢٧.
(٢) تنوير المقابس من تفسير ابن عباس: ٣٣٨.
(٣) لسان العرب(فلح): ٣٤٥٨.
(٤) المفردات: ٦٤٤.
(٥) سورة المؤمنون: آية ١ – ٢.
(٦) سورة المؤمنون: آية ١٠٢.

خبر آل فرعون مع موسى عليه السلام كما يتضح من قوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾(1).

أما الفوز" فيعني: الظفر بالخير مع حصول السلامة "(2)، ومن خلال تتبع الآيات التي جاءت فيها لفظة الفوز ومشتقاتها، نجد أن القرآن لم يستعملها إلاّ في خبر المؤمنين، واقتصر ذكرها على الدار الآخرة دون الدنيا

كقوله تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(3)، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾(4)، وعلى هذا يكون الفلاح مستعمل في الخير والشر، وفي شؤون الدنيا والآخرة، في حين يقتصر ذكر الفوز على خير الآخرة.

وبناءً على هذا فإنه لا ترادف بين اللفظتين والله أعلم.

عاشراً: النصب واللغوب

ورد ذكر النصب واللغوب في القرآن الكريم منفردين ومنفيين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ

---

(1) سورة طه: آية ٦٤.

(2) المفردات: ٦٤٧.

(3) سورة آل عمران: آية ١٨٥.

(4) سورة الحشر: آية ٢٠.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1]، ولا تفرق المعاجم بين دلالة اللفظين، فالنصب هو:" الإعياء من العناء..... وهو التعب، قال النابغة:

كِليني لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطيء الكواكب

واللغوب: هو التعب والإعياء "[2]، مما يعني أن المعاجم لا ترى فرقاً بين اللفظين، إذ يمكن حلولهما في ذات الموقع الدلالي، فهل الله تعالى ذكر النصب، ثم ذكر اللغوب فضلة؟ حاشا لله تعالى أن يكون هذا المراد.

إذاً لابد من تغاير في المعنى بحيث تستعمل كل مفردة بمكان لا يمكن أن تحل أخرى مكانها.

وعلى هذا يكون النصب هو التعب الجسماني الذي يحصل من الشقة والكلفة[3]، قال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام :﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[4]، أو النصب التعب الدؤوب في العمل، وهو بدني أيضاً، قال تعالى:﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾[5]، أي: فدأب في العمل بطاعة الله[6]، ومثله قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾[7]،

---

(١) سورة فاطر: آية ٣٥.

(٢) ينظر: لسان العرب(لغب): ٤٠٤٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٣١٤/٧ – ٣١٥.

(٤) سورة الكهف: آية ٦٢.

(٥) سورة الانشراح: آية ٧.

(٦) ينظر: الكشاف: ٧٦١/٤.

نَّاصِبَةٌ ﴾[1]، فاقترن العمل مع النصب، أي:" تعمل في النار عملاً تتعب فيه، وهو جرها السلاسل والأغلال "[2].

فالنصب لا يخرج عن التعب البدني، أما اللغوب فهو التعب النفساني، والذي يعبّر عنه بالإعياء، واللغوب هو الإعياء بلغة حضرموت[3]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[4]، فتفسير اللغوب بالإعياء في هذه الآية أوفق من غيره في جناب الحق سبحانه، لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[5].

وقيل: إنما عطف اللغوب على النصب؛ لأنه من نتيجته، إذ هو الفتور والكلل الذي يصيب الإنسان من النصب والتعب[6]، ولذا جاء ترتيب اللفظتين في الآية مبتدئاً بالنصب؛ لأنه المسبب للتعب، وأعقبه باللغوب؛ لأنه السبب عنه.

وعلى هذا فلا ترادف بين اللفظين. والله أعلم.

---

(١) سورة الغاشية: آية ٢ – ٣.

(٢) الكشاف: ٧٢٩/٤.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٣٤/١.

(٤) سورة ق: آية ٣٨.

(٥) سورة الأحقاف: آية ٣٣.

(٦) ينظر: الكشاف: ٥٩٦/٣.

الخاتمة

توصل البحث إلى ما يأتي:-

١- إذا كان هناك خلاف في وقوع الترادف في اللغة فإننا لا نقر بوقوعه في القرآن الكريم.

٢- استقرأنا الألفاظ الخاصة بالجنة في القرآن الكريم في مواضعها، ثم قارنا السياق بالسياق والدلالة بالدلالة متلمسين في ذلك خصائص دلالية تلزم اللفظ ولا تغادره. وقد أرشدنا الاستقراء والتدبر في تلك الألفاظ إلى اختصاص كل منها بدلالة لا تشاركها فيها لفظة أخرى.

٣- إثبات نفي الترادف في نصوص الجنة من خلال الفروق الدلالية بين الألفاظ، والعموم والخصوص، واختلاف الاعتبارات، والأسباب البلاغية واختلاف اللغات.

٤- إن فهم السياق والتأويل للفظة القرآنية يرشدنا إلى إشارات بلاغية ودلالية، تؤثر بمجموعها في نفس الملتقى، وهذا سر من أسرار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١- اتفاق المباني وافتراق المعاني: لابن بنين النحوي، تحقيق: يحيى جبر، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٥

٢- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٣- الإعجاز البياني للقرآن ورسائل ابن الأزرق: د. عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١.

٤- إعجاز القرآن الكريم: د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن ١٩٩١.

٥- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: محمد نور الدين المنجد، دار الفكر المعاصر- لبنان، ودار الفكر- سورية، ط١ ١٩٩٧.

٦- تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣.

٧- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).

٨- تفسير الكشاف: جار الله الزمخشري، رتبه وضبطه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٩٩٥.

٩- تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: أحمد صادق الملاح، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٩٧٤.

١٠- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، راجعه لجنة من العلماء،بيروت(د.ت)

١١- الخصائص: أبو الفتح ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، القاهرة، ط٢.

١٢- دراسات في اللغة: إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦١.

١٣- دور الكلمة في اللغة: استيفن أولمان، ترجمة: كمال بشير، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٩٠.

١٤- شرح الرضي على الشافية، رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥.

١٥- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس، تحقيق: مصطفى الشويحي، بيروت ١٩٦٣

١٦- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٩٩٦.

١٧- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ط٤ ٢٠٠٦.

١٨- فصول في فقه العربية: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢ ١٩٨٠.

١٩- فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، ط٥ ١٩٦٢.

٢٠- فقه اللغة وخصائص العربية: محمد مبارك، بدون ناشر، القاهرة، ط٢ ١٩٦٤.

٢١- في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥ ١٩٩٢.

٢٢- لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، دار المعارف، مصر.

٢٣- المخصص: أبو الحسن ابن سيده الأندلسي، المطبعة الأميرية، بولاق، ط١ ١٣٢٠هـ.

٢٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، شرحه وعلق عليه: أحمد جاد المولى بك وآخرون، دار الفكر للتراث، ط٣.

٢٥- معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.

٢٦- من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة.

٢٧- من وحي القرآن: د. إبراهيم السامرائي، اللجنة الوطنية للإحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الجمهورية العراقية، ط١ ١٩٨١.

٢٨- النبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٠.